مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــــــ المجلد: 11 / العـدد:02 (جويلية 2023) ص 93–108
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

أوضاع المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى ومعاناتهم (1914–1918)

The Conditions and Suffering of Algerian Conscripts in the French Army during the First World War (1914-1918)

جمال حريشة[1]، علي طاليبي[2]
Djamel HARICHA[1], Ali TALIBI [2]
1 جامعة حسيبة بن بوعلي– الشلف (الجزائر)، d.haricha92@univ-chlef.dz
2 جامعة حسيبة بن بوعلي– الشلف (الجزائر)، a.talibi82@univ-chlef.dz

تاريخ الاستلام: 2022/09/07	تاريخ القبول: 2023/06/04	تاريخ النشر: 2023/07/13

الملخص: أدركت فرنسا الاستعمارية مع اندلاع الحرب العالمية الأولى حاجتها الملحة للموارد البشرية والمادية من مستعمراتها، خاصة الجزائر التي أولت لها أهمية كبرى، فعمدت إلى تجنيد شبابها في سبيل قوتها العسكرية، مستعملة شتى الوسائل والأساليب، ورغم سياسة الرفض والعراقيل المختلفة، إلا أنها مارست سياسة الترغيب والترهيب في حق المجندين، الذين قدموا الكثير من التضحيات في حرب لا تعنيهم، رغم المعاناة والألام عبر عديد الجبهات، وقد استخلصوا الكثير من النتائج.

وفي هذه الورقة البحثية ارتأينا أن نسلط الضوء على تأثير الحرب على المجندين، خاصة والمجتمع الجزائري عامة، والتطرق إلى أهم الأدوار، والمهام المسندة إليهم، ونتائج ذلك، معتمدين في هذا الصدد على المنهج الوصفي والتحليلي لوصف الحقائق وتدوينها.

الكلمات المفتاحية: التجنيد.، الحرب العالمية الاولى.، الجيش الفرنسي.، الجزائريين.، الدولة العثمانية.

Abstract: The French colonizer realized, in the onset of World War I, that its urgent need for human and material resources from its colonies, especially Algeria, which it considered of great importance. Therefore, this colonizer resorted to recruiting its youth in order to strengthen its military power, employing various means and methods. Despite the policy of rejection and the different obstacles, France implemented a policy of persuasion and intimidation towards the conscripts who made numerous sacrifices in a war that did not concern them. Despite the suffering and pain they endured across various fronts, they achieved significant results.

In this research paper, we tried to shed light on the impact of this War on the conscripts particularly and on Algerian society in general. We will discuss their important roles, assigned tasks, and the resulting outcomes. Our approach in this direction will rely on the analytical method to describe and to take notes about the facts.

Keywords: Recruitment, World War I, French Army, the Algerians, the Ottoman Empire,

المؤلف المرسل: جمال حريشة ، **الإيميل**: d.haricha92@univ-chlef.dz

1.مقدمة:

ولّدت النزعة الاستعمارية التي طبعت السياسة الفرنسية خلال القرن 19وبداية القرن 20 ضرورة توفير قوة عسكرية مهمتها الدفاع عن فرنسا، فلجأت إلى فكرة تجنيد شباب المستعمرات، واستغلالها ماديا لتحقيق الانتصار وذلك عبر كسب ودها، إلا أنها لاقت عديد الصعاب لسياستها السلبية، فزجت بهم في جبهات القتال، عانى خلالها المجندون أبشع أنواع التمييز والظلم، غير أن بعض المجندين استفاد منها في كسب الخبرة السياسية والعسكرية ، والتي فيما بعد ستلعب دورا في تنشيط حركات التحرر داخل أوطانهم، ولهذا كان لزاما علينا التطرق إلى واقع سياسة التجنيد والردود المختلفة، وتقديم صورة عن الواقع الأليم للمجندين، وأهم أدوارهم أثناء الحرب، وعلى ضوء هذه المعطيات سنحاول الإجابة عن الأسئلة التالية:

كيف استطاعت الحكومة الفرنسية تجنيد الجزائريين في الحرب العالمية الأولى؟ وما موقف الفرنسيين والرأي العام الجزائري منها؟ وما هي أهم أدوار ومهام المجندين أثناء الحرب العالمية الأولى ؟ وفيم تكمن نتائج وأثار مشاركتهم فيها؟.

وقد استخدمنا المنهج التاريخي الوصفي، في تتبع الأحداث التاريخية لعملية التجنيد الإجباري التي مارستها السلطة الاستعمارية آنذاك، ومواقف الجزائريين منها، بالإضافة إلى المنهج التاريخي.

2. السياسة الفرنسية المنتهجة في التجنيد:

لم تكن فكره التجنيد حديثة العهد، بل هي قديمة منذ نزول المستعمر الفرنسي ارض الجزائر، ففي عهد الكونت دو بورمون الذي تمكن من تجنيد شباب القبائل (فغرور، جانفي – جوان 2016، صفحة 68)، لتعويض نقص عدد الجيش الفرنسي، ولأغراض ومصالح تخدم فرنسا، وفي سنة 1831تم تأسيس الفيالق العسكرية للجيش الإفريقي، وجيش إفريقيا الشمالية، وبموجب قانون 20مارس1832 انشأ الاستعمار عدة فرق عسكريه، تكونت من التجنيد التطوعي، ومنها: فرقه المخزن والصبايحية والزواف وغيرها.

وفي 11اكتوبر1855 تقرر تأسيس ألوية للرماة الجزائريين، فشارك العديد من المجندين في الحروب بأفريقيا وأوروبا رغم نقص الخبرة العسكرية (دهاش، ديسمبر 2018، صفحة 258) ، ومشاركتهم كانت لأسباب اجتماعية معيشية، كما عرفت الفترة الممتدة ما بين 1912الى1914 مجموعة قرارات تصب في تجنيد الأهالي، ففي 31جانفي 1912صدر المرسوم الأول، ومضمونه التجنيد بالتطوع لمدة 3سنوات في الجيش الفرنسي (ثابتي، 2005–2006، صفحة 24).

وبقيت عمليات التجنيد مستمرة الى غاية صدور قانون التجنيد الإجباري 3فيفري 1912، بعد عديد الاقتراحات والتوصيات من طرف الجنرالات حول قضية التجنيد الإلزامي، الذي لاقى عراقيل داخلية وخارجية، فتجددت المطالب بالحاجة للمجندين، إلا أن المعمرين رفضوا ذلك وكذلك عدم تحمس المسؤولين للقضية.

وفي بداية القرن العشرين تناقص عدد أفراد الجيش الفرنسي مع ظهور التنافس الاستعماري (فغرور، جانفي – جوان 2016، صفحة 70) ، والأزمة في المغرب الأقصى وخطر نشوب حرب، أدى بالبرلمان الفرنسي إلى مناقشه قضيه التجنيد، فصدر القانون السابق واعتبر الجزائريين رعايا فرنسيين، خاصة وان ظاهرة التطوع الإرادي عرفت ركودا، ويحتوي القانون على 30 مادة موزعة على 4أبواب ومدته 3سنوات، يتحصل المجند على مكافأة قدرها 250فرنك، وبمجرد انتهائه يصبح احتياطيا، وكلِّف بالإحصاء والقرعة والتجنيد، كما نشير إلى مطالبة جورج كليمنصو بالاسراع في فرض قانون التجنيد الإجباري القسري لأبناء المستعمرات الفرنسية خاصة الجزائر، حيث صرح قائلا: ".. **إن قواتنا على حافة الانهيار فقدنا 03 ملايين رجل وأصبحنا في هذا الوقت مجبرين على طلب العون من مستعمراتنا لمجابهة معارك قادمة وقد تنجر عنها مذابح لخيرة الفرنسيين..** (دهاش، ديسمبر 2018، صفحة 267)".

ولما وافق المجلس الوطني الفرنسي في شهر فيفري من سنة 1912على قانون التجنيد الإجباري، الذي فرضته السلطات الإستعمارية الفرنسية على الشباب الجزائري، وذلك إستعدادا للحرب العالمية الأولى، فهو قانون عسكري يهدف إلى استغلال القوة البشرية الهائلة خدمة لأغراضها الإستعمارية، وإستعدادا للحرب ضمن الجيش الفرنسي (القاسم، 1998، صفحة 178) .

لجأت فرنسا إلى أسلوب المراوغة والإغراء بالمنح وبعض الامتيازات، كالإعفاء من الضرائب (فغرور، جانفي – جوان 2016، صفحة 69) وضمان التقاعد وحق التصويت، والمشاركة في الانتخابات والحصول على وظيفة، وهي وعود سياسية مختلفة عرفت بالحقوق مقابل ضريبة الدم، لإنجاح التجنيد وبلوغ الأهداف المسطرة، كما استعملت أسلوب الترغيب والترهيب تحديا لحالات الرفض والعصيان.

وقامت الحكومة الفرنسية بتطبيق سياسة البديل أو التعويض (ثابتي، 2005–2006، صفحة 25)، وهي تعويض المجند بآخر، وتم استخدام العنف والمطاردة وجلب الفارين بالقوة، وعملت على استمالة رؤساء القبائل ومنحهم مناصب وامتيازات مقابل التشجيع على التجنيد.

رفعت الحكومة الفرنسية سن التجنيد من 18سنه إلى 19سنه بموجب مرسوم 28نوفمبر 1913، واصدرت مرسوما آخر في 3اوت 1914 (ثابتي، 2005–2006، صفحة 30)، محتواه قبول المتطوعين المجندين الشباب

كمتقاعدين ويحق لهم الانضمام إلى الفرق الخاصة بالأهالي، مع زيادة مبلغ التعويضات فصار التجنيد من 19 سنه إلى 20سنة .

وبعد صدوره وإقرار تجنيد الأهالي إجباريا، تم الإتفاق فيه على تعويضات مادية يستفيد منها المجندون ، وذلك على شكل منح، مع أنه في المقابل لم تكن هناك تعويضات سياسية لهؤلاء المجندين (شارل روبير أجيرون ص 742)، كما نص هذا القانون على منح الجنود القدامى امتيازات ومكاسب، وكذا إعفاء المجندين الجزائريين من قانون الأهالي الجائر المطبق على الجزائريين البسطاء(الأهالي) ، مع إبقاء رخصة التنقل أو المرور داخل الجزائر وخارجها مع فرنسا، وهذا مايعرف بحرية التنقل (اجيرون، د.ت، صفحة 741).

فعانى الأهالي الأمرين، إما مجبرين تحت شعار أداء الخدمة العسكرية، أو الدفاع عن فرنسا الوطن الأم كما يقولون، وتم تسجيل الشباب بواسطة سجلات الحالة المدنية (البار، 2018، صفحة 245) ، أو إحصائه في القبائل أو الدواوير لاستدعائه فيما بعد.

فتجند كل الموظفون الإداريون، وجهاز الأمن والقياد والأئمة وشيوخ الطرق الصوفية لإنجاح التجنيد، والحث على المشاركة، والوقوف إلى جانب فرنسا، فبلغ ما تم تجنيده حسب الكاتب جيلبير 175الف شاب جزائري سنة 1916، وفي عام 1917 شهدت الجزائر اكبر عملية تجنيد للمنتظمين المجندين في كتائب تسمى المناوشون والصبايحية والزواوة (لحياتي، 2018) ، ليأتي مرسوم 7ديسمبر 1916 مضمونه تجنيد جميع الجزائريين المولودين قبل سنه1890، وعدم إعفاء أي شخص لحاجة فرنسا الملحة إلى العمال، حيث قدرت الإحصائيات الحاجة إلى 78الف عامل في الأنشطة المدنية، ونشير إلى أن الإحصائيات متضاربة وغير دقيقة.

3. المواقف وردود الفعل:

1.3. المعمرون

نجح النظام الاستعماري الكولونيالي في تجنيد عدد كبير من الشباب، واستخدم في ذلك مختلف الوسائل والطرق سواءا في ساحة الحرب أو الأنشطة المدنية، رغم العراقيل والمواقف الرافضة والمؤيدة للتجنيد، ومنها المعمرون، حيث رفض الكولون وعارض حملات التجنيد، من منطلق الدفاع عن وجوده وكيانه ومستقبله، فشنوا حملة ضده من خلال الصحافة والمجالس المحلية، فهم لا يقبلون أن تبقى مصانعهم ومزارعهم بدون عمال، فقاموا بتحرير العرائض والمقالات، (ثابتي، 2005–2006، صفحة 33) التي تصب في خانة أن القرارات المتخذة مضرة للمستعمرة، وتهدد مصالحها ومصالح الكولون، وكذلك الخوف من المساواة بين المجند الجزائري والمجند الفرنسي، كما انتشرت مظاهرات واحتجاجات حملت لافتات معارضة للتجنيد والمساواة.

2.3 . السلطة الفرنسية:

جندت السلطة كل الإمكانات البشرية والمادية، (ثابتي، 2005–2006، صفحة 31) وهذا لمواجهة الاخطار الخارجية، وان إمكانياتهم قليلة للمواجهة العسكرية، فلجأت إلى مجموعة من السياسات والدعايات لإنجاحه وتوظيف كل ما يخدمه، والحصول على تأييد العائلات الكبرى، كعائلة بن شنان الحاج قويدر، وكبار المشايخ والأئمة والقياد والنخب المثقفة التي لعبت دورا في إنجاح التجنيد.

3.3. موقف الرأي الجزائري العام:

انقسم الرأي الجزائري العام بين رافض ومؤيد للتجنيد

1.3.3.المعارضون :

وعندما اتضح جيدا بأن قانون التجنيد الإجباري قد بدت علامات تطبيقه وتنفيذه، قام بعض الجزائريين وعائلاتهم بالهجرة خارج البلاد نحو تونس والمغرب، خوفا من تجنيد أبنائهم في حرب لا علاقة لهم بها (القاسم، 1998، صفحة 122).

اتخذ موقف الجزائريين المعارضين للتجنيد عديد الأشكال، كالهجرة والعرائض والاحتجاجات والمظاهرات السلمية، جماعية وتلقائية في الشوارع وحتى الثورات، كتب احد الجزائريين رسالة الى الحاكم العام الفرنسي، حيث قال "**إننا نفضل أن نحرق نحن وأطفالنا على أن نكون فرنسيين**" (ثابتي، 2005–2006، صفحة 38) ، فهاجر الجزائريون بالآلاف نحو بلاد المشرق العربي، خاصة بلاد الشام، والى فرنسا، وقدر عددهم من 1900الى سنة 1914حوالي 10ألاف.

أما المظاهرات فظهرت في منطقة بوقرة بالبليدة، حيث احتج أكثر من 300شخص، وفي القنطرة ببسكرة جوان 1912رفضا للتجنيد (فغرور، جانفي – جوان 2016، صفحة 72) ، وتم توزيع مناشير وتعليق ملصقات رافضة للفكرة، أما الثورات فنذكر ثورات المحمدية، وتيغنيف وثورة بني شقرون اندلعت بمعسكر في الغرب الجزائري أكتوبر 1914، وهي عروش ودواوير تابعة لعمالة وهران (سعد الله، 1998، ص 214)، وقد حدثت عندما شرعت الإدارة الفرنسية في إعداد قوائم المجندين، فغضب السكان واعترضوا على ذلك (البار، 2018، صفحة 263) ، مدعين بأن أبناءهم فروا إلى الجبال والوديان، فقام الجيش الفرنسي بإطلاق النار على المتظاهرين وإحراق المنازل، وهدم المساجد، ومصادرة الأملاك، وفرض غرامات مالية على المعارضين لقرار التجنيد.

أما ثورة الأوراس فكانت مابين (1916–1917) ، بسبب رفض التجنيد وإرسال فلذات أكبادهم إلى حرب لا صلة لهم بها، وقد شهدت المنطقة مراقبة شديدة من المحتل، الذي قام بتكثيف قواته، وذلك من اجل مواجهة الاحتجاجات الواسعة التي عرفتها منطقة الاوراس منذ نهاية سبتمبر 1916.

وفي هذه الفترة شهدت الجزائر عمليات عسكرية قام بها الجيش الفرنسي من وهران غربا إلى عنابة شرقا ومن القبائل شمالا إلى الهقار جنوبا ،وكل هذا بسبب قانون حالة الطوارئ وتوسيع عملية التجنيد الإجباري بمقتضى مرسوم 7سبتمبر 1916 (القاسم، 1998، صفحة 206).

كما قامت مجموعة من الثوار بشن هجمات على المعمرين والمراكز الاستعمارية، وخطوط الهاتف، فعمت في بلديات خنشلة وعين القصر، لكن قابلها المستعمر بوحشية من خلال القتل العشوائي، والاعتقالات، وفرض غرامات مالية (فغرور، جانفي – جوان 2016، صفحة 76) ، وإحراق القرى، واعتمدت على فرقة الزواف في ذلك.

كما انتظم بعض الفارين في عصابات لقطع الطريق، كالإخوة عقون في جبل مستاوة، وحكم عليهم بالإعدام غيابيا، أما العرائض فقدم أعيان تلمسان عريضة احتجاج على القانون من17صفحة، إلا أن الإدارة الاستعمارية رفضت ذلك بحجة الحاجة إلى المجندين، كما ساهم الأمير خالد في نشاط سياسي، عندما سافر إلى فرنسا سنة 1913لحضور إجتماع، ومطالبته بإصلاحات على نظام الحكم، واعتبر القانون منافيا للديمقراطية. (ثابتي، 2005–2006، صفحة 57)

وقد رفضت بعض الشخصيات التجنيد، مثل الأستاذ عمر راسم من خلال المناشير، وعبد الحليم سماية والصحفي عمر بن قدور، ونخبة المحافظين رفضته واعتبرته ضد الإدارة الدينية، مع أنه يهدد الأحوال الشخصية كمسلمين .

2.3.3. المؤيدون: أيدت ودعمت الطبقة المثقفة التي عرفت باسم الشباب الجزائري[1] ، الموالية للاحتلال وإشترطت نيل الحقوق السياسية، كما هب الكثير من الجزائريين الموالين، فأعلنوا ولاءهم واستعدادهم للمشاركة والدعاية كالأئمة والقياد، وبعض النواب وشيوخ الطرق القادرية والدرقاوية والرحمانية، (ثابتي، 2005–2006، صفحة 68) والإمام بن رحال إمام المسجد الكبير، والدكتور ابن التهامي والمحامي عبد السلام الطيب، ومحمد سويلح، وبرزت عائلات غنية، قدمت الدعم بمئات ألاف الفرنكات، وهبات للصليب الأحمر، فتواصل التجنيد وعملية الدعم سواءا بالمجندين أو الأموال، ونقول بأن التجنيد أحدث شرخا في وسط المجتمع الجزائري، كما أعطى درسا للمحتل بأن الشعب يكن له حقدا دفينا.

– **دورهم أثناء الحرب:**.لعب المجندون الجزائريون دورا كبيرا كجنود شجعان، شهد لهم العالم وفرنسا بفضل بطولاتهم وتضحياتهم في ساحة الوغى، فالجزائر هي خزان القوة الفرنسية ونواتها، وقدر عددهم حوالي 40ألف جندي، وإنقسموا الى رماة أو أفواج قناصة ومشاة أو خيالة، تنقلوا في عدة جبهات حربية في الشرق او الغرب (فرنسا بلجيكا ألمانيا) ، تمتعوا بكفاءات عالية، كما لهم القدرة على المعارك الليلية، وإستعمال الأسلحة البيضاء في المواجهات المباشرة، وخاضوا معارك كبرى، رغم أن بعضهم لم يتدربوا جيدا، وعدم معرفتهم بالموقع الجغرافي حسب ما قاله المؤرخ الفرنسي ريبرا (مجهول، 2018).

كما أشاد الماريشال فوش بهم، ومن أهم المعارك نجد معركة لامارن 5سبتمبر1914، ومعركة تروا 15ديسمبر1915 بالحدود مع بلجيكا، ومعركة فيردان 25 اكتوبر1916 ، وتم فيها الاستيلاء على العتاد الحربي الألماني، ليتحولوا إلى مقاطعة شامياتي سنة 1917 لخوض حرب مشاة حقيقية، وأيضا حاربوا في معركة هورنوبيز في 24اوت 1917 (الباحثين، 2016، صفحة 213)، وبرزوا أكثر في الجيش السادس المؤلف أساسا من الأفارقة، وأيضا معركة الصوم، كما تنقلوا إلى منطقة شومان دي دام من اجل المحافظة على دماء الفرنسيين، تحت قيادة الجنرال شارل منغان الملقب بجزار السود.

كما شارك الجزائريون في الأنشطة المدنية للحلول محل القوى العاملة التي أرسلت للجبهات، فوزعوا على المدن الكبرى، خاصة باريس وليون ومرسيليا وسانت إيتيان، وأحيانا المناطق الريفية، فعملوا في بناء التحصينات والجسور وحفر الآبار والخنادق ومد أنابيب المياه والمصانع والمزارع وغيرها، لقد تمكنوا من تحرير التراب الفرنسي وطرد الألمان، بعدما دفعوا فاتورة غالية بعدد القتلى، فتشير الإحصائيات المتضاربة إلى مقتل 34 الف جندي ، إضافة إلى الجرحى والمفقودين وتشغيل 30 ألف عامل.

وأشار الكاتب الفرنسي سينيوري حينقال بأن عدد المجندين 75الف مجند، وعدد القتلى 25الف جندي أي 30% ،وعدد الجرحى 125ألف جندي ما نسبته 50%، وهناك إحصائيات تشير إلى 26الف قتيل، وقد أشارت إحصائيات، إلى أن هناك 82الف مستدعى و87519متطوع و2479إحتياطي (البار، 2018، صفحة 258) في هذه الحرب العظمى، وقد دفن هؤلاء في منطقة دومون شرق فرنسا في المقبرة الوطنية لضحايا الحرب. (الحياتي، 2018)

كما أرسلت فرنسا جنود لمعاونة قوات الشريف حسين، فتمكنوا من تحقيق انتصارات كبرى على العثمانيين ، وأدى بقوات التحالف إلى دخول العديد من المدن كالعقبة وغزة والقدس.

4. المعاناة والصعوبات

لقد تعرض المجندون إلى الإعدام بالرصاص، من دون محاكمة للترهيب وترويع الآخرين في حالات الفرار من الجبهات، ففي معركة شارلروا والمارن رفضت مجموعة من القناصة الجزائريين الأوامر، ولاذوا بالفرار وكتأديب لهم تم إعدامهم من طرف الجنرال جوفر، وقد صرح أحد الجنرالات "**لقد قتلت بيدي 12 فارا، لكن هذه الأمثلة لم تكف أبدا للحد من الهروب إلى المعسكر**" (الباحثين، 2016، صفحة 220)، ويتم قتل واحد من كل عشرة جنود عشوائيين من دون تهمة أو محاكمة

كما عانى المجندون من صعوبات ومشاكل، فقد وجدوا أنفسهم في وسط مناخ صعب وظروف طبيعية قاسية، وشتاء بارد ورطوبة عالية، وظروف صحية كارثية بإنعدام النظافة، وحالات الالتهاب الرئوية، والقصبات الهوائية، والإمراض المعدية، وسوء المعاملة والتهميش والتمييز، وذلك نقلا عن رسائل لمجندين إلى ذويهم أو أصدقائهم، فدفعوا ثمنا باهظا، واستعملوا كدروع بشرية لحماية الفرنسيين، ومشكلين الجدار العازل بين الجنود الفرنسيين والألمان، ولكن هناك من فند هذه الأخيرة ونفاها تماما.

كما اتصفوا بأنهم خونة ومرتزقة وجبناء، فهم حثالة المجتمع الجزائري (دهاش، ديسمبر 2018، صفحة 258) ، وعن حرب لا صلة لهم بها، حيث قال احد المجندين في رسالة "**لنحارب شعب ليس لنا به علاقة، ولا نسب ....تحيا السلام، وتحيا إفريقيا الشمالية، حرة مستقلة** " (الباحثين، 2016، صفحة 219)، وفي نهاية الحرب استقبل المجندون من طرف المدنيين بحفاوة، فهم أبطال منتصرون، فأصبحوا محل تقدير وإشادة نظير ما قدموه من تضحيات، فتحسنت ظروف رعايتهم الاجتماعية والإنسانية.

5. الجزائريون و حرب الدعاية الإعلامية:

قاد مجموعة من الجزائريين الدعاية الإعلامية لصالح الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا، ومنهم أبناء الأمير عبد القادر(1808–1883): الأمير عبد المالك (1868–1924) والأمير علي باشا، اللذان لعبا دورا رياديا في الدعاية بفتوى الجهاد ودعوة المسلمين إلى الانضمام لإخوانهم في الدين، إضافة إلى حليفتهم ألمانيا باعتبارها صديقة المسلمين، فعلي باشا حاول إقناع المسلمين المجندين في الجيوش الفرنسية والانجليزية لمساعدة العثمانيين والانضمام إلى جيشها، مذكرا إياهم بجهاد والده الأمير عبد القادر لمدة 16سنة ضد العدو الفرنسي، ومحذرا إياهم من وعودهم الكاذبة والبراقة، كما دعا مسلمي شمال إفريقيا لأن يكونوا أمة واحدة مناهضة للإمبريالية الفرنسية ، والقيود الاستعمارية، حاملة لواء الجهاد المقدس، وبالثناء على ألمانيا، فهي راعية حقوق المسلمين الدينية

والاجتماعية (الفرجاني، نوفمبر 2018، صفحة 74) ، وكتب رسالة للمسلمين بعنوان "كذب الفرنسيين على الموتى" الهادفة إلى الجهاد والثورة ضد الفرنسيين المحتلين.

–**الملازم رابح بوكابوية** المدعو الحاج عبد الله من مدينة ميلة ولد سنة1871، وسط عائلة غنية تخرج من مدرسة المعلمين بوزريعة بالعاصمة، واستقر بقسنطينة، سنة1910إمتهن التعليم بمدينة سطيف، ثم عين البيضاء ثم مدرسة بعين الحامة العاصمة، لينتقل إلى الحروش سبتمبر 1890

اكتشف مبادئ الثورة الفرنسية (قرين، مارس 2021، صفحة 164) والحضارة الغربية، انخرط في صفوف الجيش الفرنسي، تقلد رتبة ملازم، شارك في الحرب العالمية في الفرقة السابعة (الترايور)، فر من الجيش الفرنسي أفريل 1915 (هلايلي، جانفي 2021، صفحة 164) رفقة78من جنوده، الذين ينتمون إلى عمالة قسنطينة، في منطقة بايلي بلا سوم، (Baillysomme) بعد سياسة التهميش التي تعرض لها وعدم تقليده لرتبة نقيب، بعد مقتل قائد فصيلته ، وتعيين أحد المعمرين خريج مدرسة مليانة، كانت فرنسا تقوم بمراقبة المجندين، فتذمر بوكابوية من الحراسة المشددة من طرف الشرطة العسكرية الفرنسية.

وبعد فرارهم تم إعتقالهم من طرف ألمانيا، فوضعوا تحت الرقابة، وبدأت التحريات والتحقيقات، ليتحول إلى محتشد الهلال بزوسن، أين عوملوا معاملة حسنة، وتعاطفوا معهم، لينتقل إلى عاصمة الخلافة العثمانية، ثم إلى سويسرا للعمل الدعائي إلى جانب المانيا (هلايلي، جانفي 2021، صفحة 165)، ويقوم العمل الدعائي لكابوية بالتطرق إلى معاناة المجندين مع فرنسا، كالحرمان من الراحة المعنوية والمادية، وعدم احترام الشعائر الإسلامية، كطريقة الدفن، ومعرفة إتجاه القبلة في صلاة الفجر خاصة، والاستهتار بالعيد وصوم رمضان، كما كانوا يلبسون ملابس الجنود القديمة (هلايلي، جانفي 2021، صفحة 69) .

في حين شكر الأوضاع والظروف في معتقل الهلال، من احترام للإسلام والمسلمين، ووصفها بالحسنة فاسم هلال له، دلالة قدسية عند المسلمين، وهو المعسكر الذي يضم 3046 أسير به 3ألاف مصحف، وطعام حلال، وتم بناء مسجد في 13جويلية 1915، وانشات لهم جرائد الجهاد، وعالم الإسلام بالعربية، ومجلة العدل، ودورية دار الإسلام وجريدة الواجب باللغة الفرنسية، وكلها تروج لألمانيا بأنها صديقة المسلمين، ولكتابة معاناة المجندين في المعسكر الفرنسي.

وقد كافأته القيادة العسكرية الألمانية، برتبة عقيد في الجيش الألماني نظير العمل الدعائي الذي قام به، حتى نهاية الحرب في صفوف الأسرى المغاربة. (قرين، مارس 2021، صفحة 239)

كما أن هناك منشورات ووثائق متواجدة في مركز الدراسات الشرقية ببرلين، مكتوب باللغة العربية الدارجة، موجه للجنود المسلمين في الجبهات والخنادق ومنها "**راكم اليوم مطيشين في البرد والعذاب قاعدين في الحفر والترونشيات في مضرة شديدة والقرايدة متاعكم يضربوكم ويعذبوكم مثل الحمير ...وانتم عرب ما تحبوش الذل ...وانتم تقاتلون ضد الألمان اللي هما أعداءكم ....وما كمش تقاتلوا في سبيل الله وفي سبيل بلادكم وتموتوا موت الخائنين** ..." (قرين، مارس 2021، صفحة 237)، وأطلقت هذه المنشورات من عنان السماء عبر الطائرات الألمانية في الجبهات والخنادق التي يتواجد فيها المسلمون بكثرة، ونشير الدعاية الدينية التي لعبت دورا هاما في فرار بعض المجندين، إضافة إلى دور العلماء الذين حرموا مشاركة المسلمين إلى جانب فرنسا، في مقاتلة إخوانهم في الدين. (قرين، مارس 2021، صفحة 237)

6. الدعاية الالمانية المضادة لفرنسا:

ظهرت هذه الدعاية قبل انطلاق الح ع 1 ، حيث تواجد جواسيس ألمان في الجزائر، وقد قدموا إليها على هيئة سياح وتجار، فتقربوا من السكان، وقاموا بربط علاقات معهم، فكان هدفهم الرئيسي هو تأليب الجزائريين وتشجيعهم على التمرد ضد فرنسا، خاصة ما تعلق بالتجنيد الإجباري، الذي كان الحدث الأبرز والقضية الجوهرية والشائكة بين الأهالي الجزائريين وفرنسا، وهو ما يؤكده الكاتب الفرنسي أوغسطين برنارد، حينما أشار أن هؤلاء الجواسيس الألمان أرادوا أن يظهروا من خلال أعمالهم، أن ألمانيا هي منقذهم ومحررهم، في أسلوب ترغيب محاولين، في نفس الوقت إظهار أن فرنسا عدوتهم، ووجب عصيانها والتمرد عليها (ناصر، 2008، صفحة 02).

فعمدت الدعاية الألمانية إلى التعجيل بقيام ثورة من طرف الأهالي على فرنسا، مستغلة بذلك بعض المستجدات المهمة على الساحة الدولية، خاصة ما تعلق بالدعاية العثمانية ضد المعسكر الغربي خاصة فرنسا ، بإعلان السلطان العثماني الجهاد، وكذا إصدار الفتاوى الدينية الجهادية لمحاربة المسيحيين، وهو ما أحدث هلعا في صفوف الفرنسيين، وكذلك الأفكار الإصلاحية لكل من المفكرين محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، الداعية للتحرر ومعاداة الإمبريالية الإستعمارية، والجهاد في سبيل الله والوطن (ناصر، 2008، صفحة 03).

إلا أن تأثير هذه الدعاية الألمانية لم يكن له صدى كبير، ما عدا في بعض المناطق والنواحي، نذكر منها ماحدث في ثورتي بني شقران سنة 1914م والأوراس سنة1916م المضادة للتجنيد الإجباري، وماتردد من أصوات معبرة عالية هادفة وداعمة للدولة العثمانية وألمانيا في حربهما ضد المعسكر الغربي، وذلك في سطيف سنة1914م مرددين سكانها (**تحيا ألمانيا –تحيا استانبول –تسقط فرنسا**.....) ، وفي الجنوب الجزائري فقد مول ودعم

أهالي بني ميزاب سنة 1914م العثمانيين في حربهم بالمال، وقد استلمه الشيخ سليمان باشا الباروني (ناصر، 2008، صفحة 06).

7. الدعاية الفرنسية:

أحدثت الدعاية الإعلامية العثمانية الألمانية ضجة كبيرة في أوساط الإدارة الفرنسية، خاصة وان المجندين الجزائريين تأثروا بها، فقامت فرنسا بالاستعانة برموز وشخصيات دينية من أئمة وعلماء ورجال الطرق الصوفية، ففي 27 افريل 1914أصدر وزير الحرب الفرنسي قرارا لاستقدام أئمة إلى فرنسا (قرين، مارس 2021، صفحة 243)، والفيالق الرابع والسادس عشر والسابع عشر، ونذكر بعض الأئمة وهم بومرزوق الوانوغي المقراني ومفتي الأصنام ومدرسها عبد الرحمن القطرانجي، وهم من أوفياء فرنسا وخريجي مدرستها حسب ما نشرته الصحافة الفرنسية.

فقاما بالدعاية في المساجد أفريل 1917 حاثا الجزائريين على الوقوف إلى جانب فرنسا، ودعا بالنصر لها والهزيمة لأعدائها، كما طلب من الأغنياء العون بأموالهم خدمة لفرنسا المتحضرة، كما لجأت فرنسا إلى إحداث القطيعة والتفرقة بين الجنود الجزائريين والسود السنغاليين، بمنع التجمعات والتكتلات التي من شأنها زعزعة الجيش واستقراره، فهناك مثل سينغالي يردد لنعت المجندين الجزائريين moslemblanc 'ya pas bon فهذا تمييز عنصري. (دهاش، ديسمبر 2018، صفحة 172)

لقد ناشد الحاكم العام الفرنسي في الجزائر المعمرين والأهالي الجزائريين على حد سواء، إلى حماية فرنسا فهي بمثابة الوطن الأم، والعمل على رفض الدعاية المغرضة الألمانية، وذلك **بقوله :"....ساعدونا في هذا الموقف وكونوا لنا إخوانا**" ، وقد استجاب الجزائريون الداعمون والمواليون لفرنسا فقط ، وهو ماجعل فرنسا تؤكد أن كل الجزائريين مع فرنسا، لما قدموه من دعم مادي ومعنوي للجيش الفرنسي في حربه، وهذا من أشكال الدعاية الفرنسية المغرضة، كما قال الحاكم العام الفرنسي في نداء بتاريخ 7نوفمبر 1914م :"..... **الألمان هم الذين يسيرون الحرب ويوجهونها، أما العثمانيين فهم لعبة في أيديهم** "، وهذا من الدعاية المغرضة لإحباط معنويات الجزائريين وجعلهم متعلقين بفرنسا وناقمين عن الألمان (ناصر، 2008، صفحة 9)

كما حرصت السلطة الفرنسية على مراقبة المناطق الحدودية، بسبب خوفها من تسرب عناصر تركية إلى المنطقة، للقيام بدعاية واسعة لفتوى الجهاد، وخاصة أنهم تلقوا تقارير عن طريق معتمد إسبانيا في تركيا وصلت إلى سفير فرنسا في مدريد (البار، 2018، صفحة 80) ، بأن أشخاصا سيتوجهون لغرض الدعاية مثل شريف عادل

وعبد الرحمان باشا، وتعدى ذلك أيضا إلى الألمان الذين حاولوا دفع السكان للثورة ضد المستعمر، لذا قامت فرنسا بإتخاذ إجراءات تمثلت في سجنهم أو طردهم أو فرض رقابة صارمة عليهم.

وقد وجدت مؤشرات ودلالات على تعاطف الأهالي مع الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا، وذلك عندما صاح احد الجزائريين تحيا ألمانيا وتسقط فرنسا، مما أدى إلى معاقبته بشهر سجن وبغرامة مالية قدرها مائتين فرنك، وأيضا ما حدث للمؤرخ احمد توفيق المدني عند تفتيش منزله تم العثور على صور للإمبراطور الألماني غليوم الثاني وزوجته وأخرى للإمبراطور بين أوراقه الشخصية (البار، 2018، صفحة 81)، وفي جانفي1915تم مداهمة شقة عرف بأنها معدة لاجتماعات المواليين لتركيا، وعلقت على جدرانها رسوم لكل من أنور باشا ومحمود شوكت باشا، وتم فرض رقابة صارمة على الصحف والمجلات، لقطع الطريق أمام الدعاية العثمانية الألمانية، ومن أهم الصحف جريدة الشباب التركي الناطقة بالفرنسية وتصدر من القسطنطينية، فهي تنقل أخبار معادية لفرنسا، وحجبت وحجزت الرسائل القادمة من ألمانيا، وخاصة من المعتقلات التي تضم الأسرى.

كما شددت فرنسا الرقابة الصارمة على مراسلات المجندين، أثناء الخدمة مع أهاليهم وأصدقائهم، بسبب ما تحمله من أخبار صادمة ونقل للمعاناة، فقد تؤدي إلى أخطار كبرى تهدد الدولة الفرنسية، ونذكر ما جاء في الرسالة التي بعثها احمد بن الحاج إلى محمد بن إبراهيم بن الحاج بن عبد القادر (البار، 2018، صفحة 84) وكتب فيها "...**أماه كم هي مؤلمة تلك السنة التي قام فيها الفرنسيون ببيعنا لألمانيا ....للأسف أين هو شبابي ....قيل لي إن العالم انتهى** "، وهناك أخر يطلب من عائلته إيجاد بديل فقد تم تجنيده حديثا وسئم الظروف القاسية.

أما المجندين العائدين من الحرب، حيث منع عليهم التصريح بالأخبار أو إستقبال الأهالي، وتم عزلهم وتسليمهم إلى الجهات العسكرية المختصة، أما الجرحى في المستشفيات فتم تشديد الحراسة عليهم لمدة24ساعة من طرف ضابط صف وعريف و4 جنود.

وكان معظم الناس يقولون خلال سنة1916 أن ألمانيا على وشك الانتصار، وأن فرنسا سائرة إلى الانتحار وتركت فرنسا بعض الجرائد في الصدور والنشر، حال المبشر التي تنشر أخبار الحلفاء الايجابية عن التجنيد والمجندين.

كما عمدت فرنسا إلى منع الجزائريين من أداء الحج والعمرة إلى البقاع المقدسة سنة 1915، بسبب إعلان مفتي إسطنبول الشيخ خيري بن عون الأركوني في 14 نوفمبر 1914 الجهاد ضد فرنسا، لتفادي الاحتكاك بالثوار ، كما قامت فرنسا بإرسال بعثة دبلوماسية إلى الشريف حسين في 1916، بهدف كسب التأييد العربي ضد الدولة

العثمانية، وقررت بناء مساجد في مارن ونوجون لأجل إقامة قراءة القران وإقامة الصلاة. (دهاش، ديسمبر 2018، صفحة 236).

7.خاتمة:

إن مشاركة الجزائريين في هذه الحرب التي وصفت بأنها أقوى الحروب التي شهدها العالم، إلى جانب فرنسا أو الدولة العثمانية وحلفائها من 1914 إلى1918، عبر عديد الجبهات وفي معارك ضارية، ذنبهم الوحيد أنهم مقهورين ومقيدين تحت سلطة إستعمارية فرنسية همجية، لم تراع جوانب الإنسانية السمحاء في جحيم لا علاقة لهم بها، إلا أنهم استطاعوا أن يؤثروا ويتأثروا بمتغيراتها وأحداثها، ومن خلال هذا العمل اكتشفنا بأن الإدارة الاستعمارية الفرنسية قد خططت لمجموعة من الأهداف وهي:

–الحيلولة دون دعم ومساندة أبناء الشعب، خاصة فئة الشباب للعمل الثوري في بلادهم، وبالمقابل إفراغ البلاد من الطاقات البشرية بتوظيفها في الحرب المسعورة وزجهم فيها، بأي طريقة أو أسلوب وتعريضهم للخطر كدروع أو جدار فاصل، فسقط الآلاف بين قتلى وجرحى.

– إحداث التفرقة.بين أوساط المجتمع الجزائري فمؤيد ومعارض للقانون، أبعدهم عن أفكار الوحدة والتضامن والأخوة، فأدى ذلك إلى تشتيتهم وإضعافهم.

–كما اتضح جليا للمستعمر مدى كره ومقت الشعب له، من خلال مظاهر الرفض والعصيان والمعارضة لمشاريع وقوانين الإدارة، واتخذت طابعا سلميا وثوريا.

–المعاملة السيئة واللاإنسانية والمعاناة اليومية صفعة على جبين المستعمر، من مجندين أرادوا تحرير التراب الفرنسي.

–قيام فرنسا بدعاية إعلامية تضليلية لتحسين صورتها السلبية.

أما بالنسبة للجزائريين العائدين فقد نتج عنهم:

–اكتساب الشباب للخبرة والتجربة القتالية العالية، مم مكنهم من توظيفها في الكفاح المسلح فالتحضير والتخطيط والتدريب عوامل إيجابية.

–نمو وتبلور الوعي القومي والوطني، والفكر الاستقلالي في صفوف الجزائريين.

–ظهور الفكر التحرري، والعمل على التخلص من القيود الاستعمارية

–اكتشاف سياسة الوعود الكاذبة، فخاب أملهم فيها، من خلال سلسلة الإصلاحات المعلنة، كقانون جورج كليمنصو1919 ، وما نص عليه من مشاريع إغرائية هدامة تخدم المستوطنين وتعاقب الجزائريين البسطاء

–ظهور جمعيات ثقافية وإصلاحية أسهمت في بناء الحركة الوطنية، كالجمعية الصديقية 1913وصحف النجاح 1919والاقدام 1920، الدفاع عن حقوق الشعب المسلوبة وفضح السياسات الاستعمارية.

–اكتساب حقوق سياسية كالتصويت والمشاركة في الانتخابات وبشروط مقيدة فرضتها الإدارة الفرنسية.

–قناعة الجزائريين وإيمانهم الكامل بأن الاستعمار لا يتغير مهما اختلف، وأن أسطورة فرنسا لا تنهزم أصبحت من الماضي.

–تشتت عائلات جزائرية عن طريق الهجرة إلى الخارج، أعطت دفعا قويا لظهور الحركات والتيارات المختلفة التي تأثر بها الجزائريون هناك، واستطاعوا نقلها إلى بلادهم والعمل على نشرها وتعميمها.

–اعتزاز المجند الجزائري وتمسكه بدينه الإسلامي، من خلال الحرص على القيام بالشعائر الإسلامية، رغم الاستهتار و اللامبالاة من طرف الفرنسيين.

–الاختلاف في الإحصائيات عدديا للمشاركين والقتلى والجرحى والمفقودين، وجب إعادة دقيقة ودراسة شاملة للوثائق في الأرشيف الفرنسي .

–سير العمليات الحربية الجنود الجزائريين قليلة وجب التعمق والدراسة فيها.

–لعبت الدعاية الألمانية ولو بجزء قليل في توعية الجزائريين والتأثير عليهم أثناء الحرب.

5. قائمة المراجع

1. مجموعة من الباحثين .(2016) .*الطريق الى سايكس بيكو–الحرب العالمية الاولى بعيون عربية* .–مركز الجزيرة للدراسات والدار العربية للعلوم ناشرون، قطر.
2. *سعد الله ابو القاسم (1998)، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، دار الغرب الاسلامي ، بيروت .*
3. ثابتي حياة. (2005–2006). *الحرب العالمية الاولى (1914–1918) وانعكاساتها على الجزائريين في القطاع الوهراني، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية*،جامعة احمد بن بلة، الجزائر.
4. البار صباح ، بلفردي جمال،(2018) ، المجندون الجزائريون ضمن الجيش الفرنسي اثناء الحرب العالمية الاولى .(1914–1918)مجلة المعارف والدراسات التاريخية، العدد 03،ص ص 270–240

5. بلحاج ناصر، (2008)، دور الدعاية العثمانية الألمانية في رفض التجنيد الإجباري بالجزائر والدعاية الفرنسية المضادة خلال الحرب العالمية الأولى (1914–1918)، العدد 03.

6. دهاش الصادق. (ديسمبر 2018). مراقبة وحجز مراسلات المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي بين (1914–1918). *مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد العاشر، العدد 04* ، ص ص 111–121.

7. الفرجاني خالد، (نوفمبر 2018)، فرض فرنسا لرقابة صارمة على بلدان المغرب العربي، *مجلة القرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، المجلد السادس، العدد 02، ص ص 69–95*

8. قرين مولود، (مارس 2021)، اضواء جديدة على نشاط رابح بوكابوية في معسكر الهلال الالماني خلال الحرب العالمية الاولى .*مجلة مدارات تاريخية، المجلد الثالث، العدد 01، ص ص 232–253* .

9. لعرج الشيخ ، فغرور دحو. (جانفي – جوان 2016). مسألة تجنيد الاستعمار لابناء شمال افريقيا في حروبه الاستعمارية والمواقف المحلية منه،*مجلة العلوم الانسانية،* المجلد السادس، العدد 01، ص ص 67–83.

10. هلايلي حنيفي .(جانفي 2021) .المجندون في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الاولى –1914 1918اضواء جديدة في كتابات الملازم الاول رابح بوكابوية .*مجلة دراسات تاريخية عسكرية، المجلد الثالث، العدد 01، ص ص 159–178*

11. لحياتي عثمان، (11 /2018/11) .*تقارير عربية* Récupéré sur .العربي الجديد : https://www.alaraby.co.uk/26-%D8%A3%D9%84%D9%81-%D9%82%D8%AA%D9%8A%D9%84-%D8%AC%D8%B2%D8%A7%D8%A6%D8%B1%D9%8A-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%

12. مؤلف مجهول. (1/11/ 2018). *المعارك الكبرى بالحرب العالمية الأولى "خاضها مغاربة"* . تم الاسترداد من سكاي نيوز عربية : https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1196052-

%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%B1%D9%83-
%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A8%D8%B1%D9%89-
%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-
%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A9-
%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%94%D9%88%D9%84%D9

[1]الشباب الجزائري: حركة اجتماعية مؤلفة من مثقفين مسلمين هاجروا إلى فرنسا وتعلموا الطب والصيدلة والقانون فأثروا بالثقافة الفرنسية وتعرفوا على قيم المجتمع الفرنسي المبنية على الديمقراطية ومبادئ الثورة الفرنسية، وهم من الطبقة المتوسطة وعند عودتهم إلى الجزائر أسسوا النوادي والجمعيات وتزعمهم بن التوهامي، ينظر: عمار عمورة ، المرجع السابق، ص 285.